وصايا لقمان لابنه في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

م.م.أمجد يونس عبد مرزوك الجنابي
كلية الآداب/قسم علوم القرآن

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فان القرآن الكريم مدرسة فريدة متميزة، تخرج فيها العلماء والحكماء والصالحون على مر العصور، ففيها العقيدة والشريعة والأخلاق، وقد نهل منها هؤلاء وغيرهم وتربوا على منهاجها العامر بالإيمان والتوجيه والإرشاد... ومنها ما تناولته سورة لقمان من وصايا سجلها القرآن على لسان أب لابنه.

سورة لقمان من السور المكية، نزلت بعد سورة الصافات، وترتيبها في المصحف بعد سورة الروم، وعدد آياتها ٣٤ آية، وهذه السورة ينبغي أن توضع كمنهاج في مدارسنا ليقرأها ويفهمها ويحفظها أبناؤنا لينشئوا على وفق ما جاء في موعظة لقمان لابنه.

لقد عرف لقمان عبر الأجيال المتعاقبة بالحكيم، وقرر الله تعالى هذه الصفة له، وجاء النص القرآني بثمان آيات في سورة لقمان تتحدث عن هذه الموعظة وتفصل فيها، ومن أجل الوقوف على حكمة لقمان في توجيهاته لابنه وأهميتها ومواضيعها وما يستنبط منها من دروس كان هذا البحث، وقد جعلته على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، ففي التمهيد تناولت التعريف بمعاني ثلاث كلمات وهي الواردة في عنوان البحث: (وصايا، ولقمان، والقرآن) ثم ذكرت النص الذي وردت فيه الوصايا كاملا كما جاء في سورة لقمان، والمبحث الأول تناولت فيه كلمات ومعاني النص القرآني الذي ضم الوصايا وجعلته على ثلاثة مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول: تناولت فيه سبب نزول هذه الآيات.

المطلب الثاني: تناولت فيه المعنى العام للنص القرآني.

المطلب الثالث: تناولت فيه بعض معاني كلمات النص التي قد يشكل فهم معناها عند البعض.

أما المبحث الثاني فقد أفردته للمواضيع التي تناولتها الوصايا فكان على تسعة مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول: تناولت فيه موضوع الشرك ووصفه بأنه ظلم.

المطلب الثاني: تناولت وصية الله تعالى بالوالدين والبر بهما وما ورد في ذلك من أحاديث.

المطلب الثالث: تناولت فيه صفة الله تعالى بأنه عليم بكل شيء.

المطلب الرابع: تناولت فيه الصلاة وأهمية إقامتها والمحافظة عليها وعدم تركها.

المطلب الخامس: تناولت فيه موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السادس: تناولت فيه الصبر على المصائب وآداب التحلي به.

المطلب السابع: تناولت فيه عدم تصعير الخد للناس والبعد عن التكبر عليهم.

المطلب الثامن: تناولت فيه آداب المشي وكيفية الاعتدال فيه.

المطلب التاسع: تناولت فيه آداب غض الصوت وما يتعلق بها.

والمبحث الثالث أفردت فيه الحديث عن الدروس التربوية المستفادة من النص القرآني للوصايا وجعلته على عشرة مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول: تناولت فيه أهمية التعريف بالمربي وضرورة تزكيته أمام المتربي.

المطلب الثاني: تناولت فيه موضوع التلطف مع الأبناء عند الموعظة.

المطلب الثالث: تناولت فيه ذكر صفة الوضوح وأهمية سوق الدليل عند الوعظ.

المطلب الرابع: تناولت فيه أهمية البحث الجاد عن وسائل ومصدر الاقناع.

المطلب الخامس: تناولت فيه موضوع التربية بطريقة السؤال والجواب.

المطلب السادس: تناولت فيه موضوع التربية بطريقة الثواب والعقاب.

المطلب السابع: تناولت فيه ضرورة توفير البدائل للمتربي وشمولية الموعظة.

المطلب الثامن: تناولت فيه أهمية البدء بتعليم العقيدة الصحيحة أولا.

المطلب التاسع: تناولت فيه موضوع تعويد الصغار على أن يكونوا دعاة.

المطلب العاشر: تناولت فيه أهمية غرس القيم والمثل العليا عند الصغار.

أما الخاتمة فقد جعلتها خلاصة للبحث وبينت فيها أهم ما خرجت به من نتائج من البحث.

أسأل الله تعالى أن يكتب لي التوفيق والقبول في هذا البحث، فما فيه من صحة وحسن فهو من الله تعالى بفضله ومنه وكرمه، وما يرد فيه من زلل وشطط فهو مني ومن

الشيطان وأسأله تعالى أن يتجاوز عني ويلهمني الصواب وحسبي أنني بذلت جهدي فيه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تمهيد

التعريف بمفردات العنوان

١- وصايا: جمع وصية وهي ما أوصيت به، ومنها أوصى الرجل ووصاه: عهد اليه، وتواصى القوم أي أوصى بعضهم بعضا، والوصية: بيان مقرون بنصح مؤكد بعهد، وليس مجرد بيان عابر، أو نصح فاتر، بل هي نصح مشدد مؤكد بعهد، يقال وصى فلان فلانا بشيء: أي أمره به وفرضه عليه(١).

٢- لقمان: عبد صالح من الحبشة، وكان نجاراً على قول ابن عباس، أعطاه الله الحكمة، عاش في زمن داوود عليه السلام وقيل كان أسود الجسم(٢).

٣- القران: هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس(٣).

وقد ذكر الله تعالى وصايا لقمان لابنه في سورة لقمان، وهي السورة الحادية والثلاثون في ترتيب القران الكريم، في ثمان آيات ابتداءً من الآية ١٢ وحتى الآية ١٩ وكما يأتي:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾.

وفي المباحث الآتية دراسة موضوعية لهذه الآيات:

المبحث الأول
معاني وكلمات النص القرآني في الوصايا

المطلب الأول- أسباب النزول:

نزلت ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [العنكبوت: ٨] في سعد بن ابي وقاص ﷺ، وذلك حين إسلامه قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح، ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى ما كنت عليه وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد، فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب، ولم تستظل بظل، حتى خشي عليها فأتى سعد النبي ﷺ، وشكا ذلك إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان، وهي قوله ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ...﴾ وآية الأحقاف.

ونزلت ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥] في أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك لما أسلم أبو بكر، جاءه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير، فقالوا لأبي بكر: آمنت وصدقت محمدا عليه الصلاة والسلام فقال أبو بكر: نعم فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى يقول لسعد ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ يعني أبا بكر ﷺ(٤).

المطلب الثاني- المعنى العام:

أعطى الله تعالى الحكمة للقمان وهي الإصابة في القول ثم قال له: اشكر نعمتي عليك ومن يشكر فسيعود بالفائدة إلى نفسه، والذي يجحد نعمة الله ويكفر فقد أساء إلى نفسه، ثم ذكر تعالى موعظة لقمان لابنه بألا يشرك بالله فالشرك قبيح وظلم صارخ وعرّج على الإحسان بالوالدين لاسيما الوالدة فهي من حملت جنينها في بطنها وتزداد ضعفا على ضعف ويذكر أن فطام الرضيع في عامين كاملين، ويكرر أن الشكر لله أولاً على نعمائه وثانياً للوالدين على التربية والرعاية ومصير ومرجع الجميع إلى الله تعالى، وإذا حمل الوالدان على ابنهما ليكفر ويجحد بالله فعليه ألا يطِعْهما مع بقاء حسن الصحبة لهما بالإحسان

إليهما، ولو بقيا على شركهما وليلزم طريق المؤمنين بالتوحيد والعمل الصالح ثم إن مرجع الخلق كلهم إلى الله فيخبرهم بما كانوا يعملون، ويعود لقمان ليعظ ابنه قائلا: يا ولدي إن الخطيئة والمعصية مهما كانت صغيرة، ولو كانت في أخفى مكان، كجوف صخرة صماء أو أعلى مكان في السماء أو في الأرض، فإن الله تعالى سيحضرها، وسيحاسب عليها فالله خبير وعالم ببواطن الأمور، ثم يأمر ابنه بالمحافظة على الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على نوائب الدهر، وما يصاب به فذلك كله من حقيقة الإيمان، ومن الأمور المقطوع بها وبخيريتها، ثم ينهاه لقمان عن التكبر بنهيه عن مظاهره وهي التبختر والخيلاء، فالله تعالى يكره المتكبر، ثم يختم موعظته لابنه بضرورة الاعتدال في المشي، وخفض الصوت، وأن لا يرفع صوته فإن أقبح الأصوات العالية هي أصوات الحمير[٥].

المطلب الثالث- معاني الكلمات:

١- الحكمة: العدل ورجل حكيم: عدل حكيم. وأحكم الأمر: أتقنه، ويقال للرجل إذا كان حكيما: قد أحكمته التجارب والحكيم المتقن للأمور[٦].

٢- الفصال: الفطام قال الله تعالى ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ٢]، المعنى ومدى حمل المرأة إلى منتهى الوقت الذي يفصل فيه الولد عن رضاعها ثلاثون شهرا وفصلت المرأة ولدها أي فطمته[٧].

٣- المثقال: الوزن المعلوم والذي يقاس به الذهب وغيره ومثقال الشيء ميزانه من مثله[٨].

٤- الخردل: يقال خردل اللحم إذا قطعه صغاراً وفرقه والخردولة: العضو الوافر من اللحم، وقيل المخردل: المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار. والخردل: اسم فصيلة من النباتات الموسمية المورقة التي تنمو في المناطق المعتدلة، ولهذا النبات بذور على شكل حبوب صغيرة جدا[٩].

٥- التصعير: إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر كأنه معرض والأصعر: المعرض بوجهه كبرا[١٠].

المبحث الثاني
موضوعات الوصايا

تناولت وصايا لقمان ثمانية مواضيع مهمة، أولها نهيه لابنه عن الشرك بالله تعالى وأن يتعود الإحسان للوالدين ثم ضرب له بمثل يثبت أن الله عليم بكل شيء، وأمره بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يصبر على المصائب مع اجتناب الغرور والاعتدال في المشي وخفض الصوت(١١)... وسأتناول جميع ذلك بشيء من التفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول- الشرك ظلم:

يقول صاحب الظلال في هذه الوصية «وإنها لعظة غير متهمة، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحا. وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم. ويؤكد هذه الحقيقة مرتين مرة بتقديم النهي وفصل علته ومرة بـ إن واللام... وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد ﷺ على قومه فيجادلونه فيها ويشكون في غرضه من وراء عرضها ويخشون أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم والتفضل عليهم! فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه ويأمره بها؟ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنة؟ إلا أنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس..»(١٢).

إن معنى أن لا تشرك بالله هو القيام بحقوق الله عليك وهي كثيرة «فحق الله أن تؤمن بذاته وصفاته وأفعاله، وما أمرك أن تؤمن به من رسل وملائكة وكتب ويوم آخر وقدر، وما ورد في ذلك على لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. وحق الله أن تتخذه إلها فلا تتخذ معه آلهة أخرى. فلا تطيع سواه إلا في طاعته ولا تحب غيره أكثر منه ولا تدعو سواه ولا تتوكل ولا تعتمد إلا عليه ولا تعظم غيره ولا تقدم أي معنى من معاني العبادة إلا له. وحق الله أن تذكره فلا تغفل عنه عملا وسلوكا. وحق الله أن تتعاون مع المسلمين لإيجاد دولة تقيم حدوده وتنفذ أوامره. وحق الله أن تجاهد في سبيله حتى تكون كلمته هي العليا في العالمين. وحق الله أن تقتدي برسوله في كل حال من أحواله...»(١٣).

جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه لما أنزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ «إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(١٤)، والذين شق عليهم من الصحابة ظنوا أن الظلم الوارد في آية

الأنعام هو ظلم العبد نفسه، ولكن رسول الله ﷺ بين لهم أنه الشرك... فالظلم ثلاثة أنواع كما يقول الشيخ ابن تيمية... فالظلم الذي هو شرك ولا شفاعة فيه وثانيها ظلم الناس بعضهم بعضا وهنا لا بد من إعطاء المظلوم حقه ولا يسقط الحق بشفاعة ولا غيرها وهناك النوع الثالث وهو ظلم الإنسان لنفسه(١٥).

إن في قول لقمان لابنه (لا تشرك) قول مشهور وهو أن ابنه كان كافرا ولذا نهاه عن الشرك، فلم يزل يعظه حتى أسلم، وكذلك قيل في امرأته ويروى أن لقمان ما زال يعظ ابنه حتى مات وقيل وضع لقمان جرابا من خردل وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفد الخردل فقال: يا بني، لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه... وكون الشرك ظلما لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه وكونه عظيما لما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه ومن لا نعمة له(١٦).

المطلب الثاني- الإحسان بالوالدين:

جاءت آيتان تخص الإحسان بالوالدين معترضتان داخل وصايا لقمان فما الحكمة من ذلك؟

أجاب الإمام النسفي في تفسيره بقوله «وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني إنا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما في الشرك وإن جهدا كل الجهد لقبحه»(١٧)، وقال سعيد حوى رحمه الله:

«وذكر هذه الوصية في هذا المقام إشارة إلى أن كمال الحكمة يقتضي أن تذكر الوصية بالوالدين مباشرة بعد النهي عن الشرك ومن ثم فكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الإخلاص في العبادة والوصية بالوالدين، ولا يبعد أن يكون لقمان عليه السلام أوصى ابنه هذه الوصية من خلال نقل كلام الله عز وجل الموحى به على لسان الرسل السابقين، وقد عرضها على ابنه هذا العرض على لسان الوحي عن الله، لما في ذلك من مصلحة إذ هو الوالد فكان ذلك أبعد عن الشبهة وذلك من مظاهر حكمته وكمال أدبه»(١٨).

إن المتكرر في القران الكريم هو توصية الولد بالوالدين ولم ترد توصية الوالدين بالولد الا قليلا، ومعظمها في حالة الوأد– وهي حالة خاصة في ظروف خاصة– وذلك لأن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه. فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ

لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف وشكوى، بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو بحاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولي الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما[١٩].

عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: ثم أمك قال: ثم من؟ قال ثم أمك قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك، وعن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف**» قيل من يا رسول الله؟ قال «**من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**»[٢٠].

المطلب الثالث- سعة علم الله تعالى:

ذكر لقمان لابنه مثلا في قدرة الله تعالى وعلمه بكل شيء... يقول ابن عطية:

«... وقال لقمان: يا بني، وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى، وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه، لأن الخردلة يقال: أن الحس لا يدرك لها ثقلا، اذ لا ترجح ميزانا. وقد نطقت هذه الآية بان الله تعالى قد أحاط بها علما، وقوله تعالى ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ عبارة تصلح للجواهر، أي قدر حبة، فظاهر الآية أنه أراد شيئا من الأشياء خفيا قدر حبة، ويؤيد ذلك ما روي من أن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة تقع في مثل البحر، أيعلمها الله؟ فراجعه لقمان بهذه الآية. وذكر كثير من المفسرين أنه أراد الأعمال والمعاصي والطاعات، ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أي لا يفوت وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف»[٢١].

وفي قوله تعالى في ختام الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي يصل علمه تعالى إلى كل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه، وعن قتادة: لطيف باستخراجها خبير بمستقرها. وقيل ذو لطف بعباده فيلطف بالإتيان بها.. ﴿خَبِيرًا﴾ عالم بخفايا الأشياء(٢٢).

أقول: كل هذه الأقوال ذات معان متقاربة، إلا أنني أميل إلى قول قتادة حين ذهب مع سياق المثل، وهو علم الله تعالى بحبة الخردل، وباعتبار أن المخاطب بالمثل هو ابن لقمان فكان من الأنسب أن يبقى المعنى حول الخردلة وعلم الله تعالى بها والله أعلم.

قال تعالى ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾.

وعلق سيد قطب على هذه الآية قائلا:

«ما يبلغ تعبير مجرد عن دقة علم الله وشموله، وعن قدرة الله سبحانه، وعن دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور. وهذا فضل طريقة القران المعجزة الجميلة الأداء، العميقة الإيقاع... حبة من خردل، صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾، صلبة محشورة فيها لا تظهر ولا يتوصل إليها، ﴿أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾... في ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة ﴿أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ضائعة في ثراها وحصاها لا تبين، ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾... فعلمه يلاحقها، وقدرته لا تفلتها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾... تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف، ويظل الخيال يلاحق تلك الحبة من الخردل في مكامنها تلك العميقة الوسيعة، ويتملى علم الله الذي يتابعها، حتى يخشع القلب وينيب، إلى اللطيف الخبير بخفايا الغيوب. وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب. بهذا الأسلوب العجيب»(٢٣)، وقال الشيخ عبد الرحمن حبنكة:

«أراد لقمان الحكيم أن يفهم ابنه شمول علم الله كل شيء، وعظيم قدرته على ما يشاء من كل ما يراه الناس عسيرا وصعبا، فضرب له مثلا بأصغر الصغيرات التي يعرفها من الحبوب النباتية، والتي يشبه الناس الصغيرات جدا بها، وهي حبة الخردل... فأبان له أن هذه الكائنة الصغيرة في الوجود ولو كانت مقدار حبة خردل، وكانت هذه الكائنة في باطن صخرة مهما كانت شديدة القساوة، أو كانت في مكان ما من السموات، أو في مكان ما من

باطن الأرض، فان الله عليم بها، خبير بكل أحوالها، وإذا شاء أن يأتي بها من مكان وجودها بألطف وسيلة، لان الله لطيف خبير»[٢٤].

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال «لو ان أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان»[٢٥].

المطلب الرابع- متعلقات الأمر بالصلاة:

ورد ذكر الصلاة وما يتعلق بها من أمور وأحكام في تسعين موضعا من القرآن الكريم ومن هذه المواضع الآيات التي هي موضوع البحث، حيث قال لقمان موصيا ابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين[٢٦].

جاء في باب البيعة على إقامة الصلاة في صحيح البخاري أن الصحابي جرير بن عبد الله ﷺ قال: بايعت رسول الله ﷺ على أقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[٢٧].

إن الصلاة هي أعظم أركان الإسلام العملية على الإطلاق، وهي الشاملة لكل ما عداها من العبادات الأخرى، ففيها صيام، وزكاة، وحج، وجهاد، وتلاوة قرآن، وذكر لله، وغير ذلك... ولعظم منزلتها فإنها لا تسقط عن المسلم بحال، إلا مع سقوط التكليف عنه بذهاب العقل، ما عدا الحائض والنفساء. لكنها تجب على المريض، والصحيح، والفقير، والغني، والخائف، والآمن، وغير ذلك... ولو أن أهل الإسلام قدروا الصلاة حق قدرها، وقاموا بحقها عليهم، لكانت الصلاة أعظم أسباب تقويم اعوجاجهم، وإصلاح أحوالهم... وهناك آداب يحسن بالمسلم الإتيان بها تتعلق بالصلاة ومنها[٢٨]:

١- الإخلاص لله تعالى.
٢- المحافظة على الصلاة لوقتها.
٣- صلاة النافلة في البيوت.
٤- لبس ثياب نظيفة.
٥- عدم الصلاة بحضرة الطعام.
٦- المحافظة على الصلاة جماعة.
٧- المشي إلى الصلاة بسكينة ووقار.
٨- الخشوع في الصلاة.

٩- عدم رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

١٠- عدم الصلاة مع مغالبة النوم.

ولأهمية الصلاة فان تركها جحودا بها وإنكارا لها كفر وخروج عن ملة الإسلام، بإجماع المسلمين. أما من تركها مع إيمانه بها واعتقاده فرضيتها، ولكن تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها، بما لا يعد في الشرع عذرا فقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله...[٢٩]

المطلب الخامس- من طرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ذكر الإمام مسلم في صحيحة في باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام اليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد ترك ما هنالك. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»... وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[٣٠].

قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وقد دلت هاتان الوصيتان على أن مجتمع لقمان الحكيم مجتمع مؤمن مسلم، لديه علم بما أمر الله المؤمنين المسلمين به، فهو معروف لديهم، ولديه علم بما نهى الله عز وجل المؤمنين المسلمين عنه، فهو منكر لديهم، فمن ترك المعروف وهو الذي أمر الله به من دخل في الإسلام، وهو دين الله للناس أجمعين في رسالاته للناس التي بلغها جميع المرسلين، أو فعل المنكر وهو الذي نهى الله عنه من دخل في الإسلام، فقد عصى ربه، وعلى حماة المجتمع الإسلامي من تفاقم معاصي أفراده، أن يقوموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دواما، والتحذير من عواقب معصية الله التي قد تنتشر فيهم، ثم لا يستطيعون التخلص منها ولا كبحها، متى تفاقمت وانتشرت... ويظهر أن لقمان أراد أن يجعل ابنه الذي وجه له هذه

الوصايا، من أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعه المؤمن المسلم، فأوصاه بأن يقوم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر داخل مجتمعه، فمنهج الله في رسالاته، وفي تكوين الأمة الربانية الملتزمة بوجه عام أحكام شريعته، بفعل الواجبات وترك المحرمات منهج واحد، لأنه هو المنهج الأحكم(٣١).

ويرى أبو الثناء الآلوسي رحمه الله تعالى أن ظاهر الآية يدل على أن المراد ليس معروفا ومنكراً معينين، مع ما يروى عن ابن جبير أنه قال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني التوحيد ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يعني الشرك(٣٢).

المطلب السادس- أوجه الصبر على المصائب:

كل إنسان على وجه هذه الأرض لا بد وان يمر في حياته بمصائب، قد تلحق ماله أو جسمه أو تنتقص من بعض حقوقه ولهذا أوصى لقمان ابنه بالصبر على المصائب فقال فيما حكى الله عنه ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ وهنالك ينبغي للمسلم أن يتعامل مع هذه المصائب وفق الآتي(٣٣):

أ- أن يصبر عليها:

وهذا من أول ما يجب الأخذ به عند نزول المصيبة لقوله ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(٣٤).

ومما يعين المسلم على الصبر علمه أن التسخط والجزع لن يرد من قدر الله شيئا ولن يجني الإنسان من ورائه إلا سخط الله تعالى ولكن بالصبر والتصبر يحصل على الأجر الجزيل.

ب- احتساب المصيبة عند الله تعالى:

على المسلم أن يلتمس الأجر من الله تعالى إن حلت به نازلة، فيصبر ابتغاء الأجر والثواب من الله... يقول النبي ﷺ يقول الله تعالى: «**ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»(٣٥)، وصفيه أي حبيبه من ولد أو والد أو نحوه كما قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٢] فينبغي أن يكون الصبر عن رضى بقضاء الله وقدره.

ج- الاسترجاع ودعاء المصيبة:

والاسترجاع هو قول المرء عند نزول المصيبة (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها) عن أم سلمة أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها**»(٣٦).

هـ- اجتناب كل ما يغضب الله

و- عدم الشكوى إلى الخلق

ز- رجاء الفرج من الله.

تحدث سيد قطب في تفسيره عن أهمية الصبر على ما يصيب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر جراء مخالطته للناس بغرض الإصلاح فقال: «هذا هو طريق العقيدة المرسوم... توحيد الله، وشعور برقابته، وتطلع إلى ما عنده، وثقة في عدله، وخسية من عقابه، ثم انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر، بالزاد الأصيل. زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة. ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها. ومن الأذى تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدي. ومن الابتلاء في المال والابتلاء في النفس عند الاقتضاء... ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾... وعزم الأمور: قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم»(٣٧).

المطلب السابع- آثار التكبر على الناس وعواقبه :

قال الله تعالى حكاية عن لقمان موصيا ابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ فيه النهي عن تصعير الخد وهو إمالته بإمالة العنق عجبا وكبرا. وكان هذا التصعير من عادة الجبابرة وبعض الملوك للإشعار باستعلائهم على الناس، واحتقارهم لهم، إذ هم أوفر حظا منهم في الصفات الذاتية، وفي القوة والسلطان، والقدرة على تنفيذ ما يريدون... ولما كانت وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في عموم الناس، قد تولد لدى بعض صغار النفوس، ومريدي الاستعلاء بين الناس عجبا بأنفسهم، وكبرا على العامة، وهذا قد يجعلهم يميلون رقابهم من العجب بأنفسهم ومن الاستعلاء على الناس، أو يتصرفون تصرفات أخرى تشعر بما تسلل إلى نفوسهم من داء العجب بالنفس والكبر، كان من الحكمة أن يوصي لقمان ابنه بأن لا يعجب بنفسه ولا يستكبر على عباد الله، إذا وجد أن عوام الناس أعطته احتراما وتوقيرا بتصديه لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. وجاء النهي عن بعض مظاهر هذه الحالة النفسية في السلوك، والتي يقاس عليها أشباهها، لان ضبط السلوك عن الظواهر الدالة على ما في النفوس يساعد الإنسان على معالجة نفسه بشفائها مما تسلل إليها من داء نفسي، أما ترك الإنسان إرادته تعبر عما في نفسه بظواهر سلوكية فإن من شأنه أن يزيد في نسبة الداء الذي تسلل إليها(٣٨).

إن العجب هو المرحلة الأولى من مراحل الكبر، فيجب على الإنسان أن يجاهد نفسه في سبيل القضاء عليه، وذلك برد النعم كلها إلى الله تعالى مع الخوف من زوالها بسبب معصية وغيرها... والعجب يدعو الإنسان إلى نسيان الذنوب وإهمالها، أو استصغارها واحتقارها، وفي ذلك هلاك الإنسان وضياعه... كما انه يؤدي إلى استعظام العبادات والأعمال الصالحة والتبجح بها عند نفسه وعند الناس... والمعجب يغتر بنفسه ورأيه ويأمن مكر الله وعذابه لا يستفيد من غيره باستشارة أو نصيحة ولا يتاثر بوعظ غيره ولا بارشاده وتوجيهه وبذلك يغلق على نفسه نوافذ الحكمة ويعيش مع نفسه في عزلة بغيضة...

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... الى طبقات الجو وهو وضيع(٣٩)

المطلب الثامن- مظاهر المشي المذموم:

ومن وصايا لقمان لابنه هذه الوصية ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾... والمرح: هو الاختيال والتبختر في المشي وأصله شدة الفرح والنشاط، وتجاوز الحد المعتاد من حركات العقلاء وأهل الرشد عند فرحهم وسرورهم... وهنا يتابع لقمان نهي ابنه عن ظاهرة أخرى من ظواهر الكبر والعجب بالنفس وهي ظاهرة الاختيال والتبختر في المشي. وهذه الظاهرة أقبح من ظاهرة تصعير الخد، لأنها تدل على خفة في العقل ورعونة في الحركات فالعاقل الرزين وذو الرأي الرشيد لا يستخفه الكبر في نفسه حتى يمشي في الأرض مختالا متكبرا متبخترا، إذ يشعر أن مثل هذه الحركات تدل على رعونته وخفة عقله... وحذر من عاقبة هذا السلوك بقوله له: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: ومن لا يحبه الله لقيامه بما نهى الله عنه نهي إلزام، فانه يعرض نفسه لعقاب الله عز وجل... ان من يحمل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس، يقبح به جدا أن يمشي في الأرض مرحا مختالا متبخترا وسلوكه هذا ينفر الناس منه، فلا يتأثرون بما يأمرهم به، ولا بما ينهاهم عنه من أمور دينهم إذ يرونه في سلوكه مخالفا لما أمر الله به حاملي رسالة الرسول وبما أمر به رسوله(٤٠)...

إن المشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس. وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق. وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء!... ومع النهي عن مشية المرح، بيان للمشية المعتدلة القاصدة: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾... والقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف. وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال. ومن القصد كذلك أن المشية القاصدة إلى هدف لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق(٤١).

هناك عشرة آداب ينبغي مراعاتها عند المشي هي:(٤٢)

١- استحضار النية الصالحة عند إرادة المشي وسواء كان المشي للصلاة في المسجد أم لعيادة مريض ونحوها فعلى المسلم أن يستحضر نية إرضاء الله عز وجل على كل حال.
٢- لا تمش أبدا إلى حرام فإن بكل خطوة تخطوها نحو هذا الحرام إثم وكلما طالت وتكثرت خطواتك في مشيك هذا كلما زاد إثمك فتجنب المشي إلى الحرام أيا كان.
٣- تواضع في مشيتك فالتواضع خلق محمود.

٤- الاعتدال في المشي بين البطء والإسراع، فلا تمش مشيا بطيئا متثبطا ولا سريعا مفرطا بل كن وسطا بين بين.

٥- كراهة التلفت إلى الوراء عند المشي فقد كان رسول الله ﷺ لا يلتفت وراءه إذا مشى.

٦- لا تتصنع الخشوع عند المشي رغبة في مراءاة الناس وأيضا عدم التمارض، بل ينبغي المشي بقوة إلى الغاية وقد رأى عمر بن الخطاب ﷺ شابا يمشي متمارضا فسأله: أمريض أنت؟ قال: لا، فرفع عمر الدرة فضربه بها، وأمره أن يمشي بقوة.

٧- المشي بقوة بعيدا عن التماوت والتمارض.

٨- أن تجتنب المشيات المذمومة وهي كثيرة ومنها مشية التبختر والاختيال، ومشية الشخص المضطرب المنزعج، ومشية المتماوت المتمارض، ومشية التمايل مع التكسر والتخنث، ومشية الهرولة السريعة من دون حاجة، ومشية الوثب والقفز... وغيرها مما يذم في المشي ويستكره.

٩- أن تتجنب النساء المشي في وسط الطريق.

١٠- عدم المشي بنعل واحدة فهو منهي عنه.

المطلب التاسع- غض الصوت:

إن الغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق! والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾... فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية، مع النفور والبشاعة... ولا يكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع، ثم يحاول... شيئا من صوت هذا الحمير...!(٤٣)

أصل الغض من الشيء: النقص منه والمطلوب في الصوت عند المحادثة ان يكون بمقدار ما يسمع دون زيادة ولا نقص لان الزيادة في رفع الصوت عن المطلوب رعونة لا تليق بالعاقل الحكيم الرشيد، وان خفضه عن المطلوب للإسماع مناف للحكمة، ودليل على ان المحدث لا يملك الحس اللازم لتقدير الأمور قدرها بحسب الحاجة... وان رفع الأصوات من أعمال الباعة المتجولين الذين يريدون إسماع الناس في بيوتهم ومنازلهم عما جلبوه ليبيعوه،

وهؤلاء لا يعنيهم الالتزام بالآداب العامة، إنما يعنيهم بيع بضائعهم التي جلبوها، لكسب أرزاقهم والناس يعذرونهم في هذا، لكنهم لا يعذرون المحدثين في المجالس، أو المتحادثين في أمور خاصة أو عامة، اذا رفعوا أصواتهم عن مقدار حاجة الإسماع، ويعتبرون ذلك عملا مزعجا لآذان الناس الذين لا مصلحة لهم في سماع الحديث، ومخالفا للآداب العامة... وللتنفير من رفع الصوت دون الحاجة اليه قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي: ان رفع الصوت دون حاجة إلى رفعه من صفات الحمير فلا تكن يا بني متصفا بصفة هي من صفات الحمير التي تنهق فترفع اصواتها المنكرة لحاجة في أنفسها وقوله: أنكر الأصوات: أي: أقبحها وأكثرها تنفيرا للأسماع(٤٤).

للحديث مع الغير في الإسلام آداب وأصول ينبغي مراعاتها حتى يكون المسلم واقفا عند حدود الله تعالى، وعليه فلا بد من مراعاة أمور عدة عند الحديث إلى الناس ومنها:(٤٥)

١-أن يكون الكلام هادفا إلى الخير، فقد جاء في كتاب الله تعالى قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. ومعناها لا خير في كثير من أحاديث الناس إلا حديث من أمر بصدقة أو إصلاح بين متخاصمين أو إفشاء معروف.

٢-ان يبتعد المتحدث عن الخوض في الباطل فهو مما يثير الفتنة بين الناس، وأنواع الباطل كثيرة لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها.

٣-الابتعاد عن المماراة والجدل فيما لا طائل من ورائه، فان الجدال الذي لا يراد منه الوصول إلى الحق وقت مهدور وقد يراد منه التشهير والإزعاج للمقابل فهو يعتبر حراما وممنوعا شرعا.

٤-أن لا تتكلف الكلام وتبتعد عن صفات الثرثار.

المبحث الثالث

دروس وعبر مستفادة

يتضمن القرآن الكريم مجموعة من الحوارات الراقية بين الآباء والأولاد، وبين الأولاد والآباء، تحمل في طياتها حكماً عظيمة وأساليب مؤثرة في تربية الأولاد تربية صحيحة متوازنة، ومن هذه الحوارات والوصايا: وصايا لقمان الحكيم لابنه حيث تتضمن الوسائل الصحيحة المؤثرة المفيدة في تربية الأولاد ومما يستفاد أيضا أن لقمان لم يترك ولده بلا

عناية ولا توجيه، وإنما وعظه وعلمه مما يحتاجه وينتفع به، فتربية الآباء لأولادهم من الواجبات الشرعية عليهم. كما أن وصية لقمان لابنه شملت أمور العقيدة والعبادات والأخلاق وأمور المعاملات.كما أنها أشارت إلى وجوب أداء الحقوق إلى أهلها مرتبة حسب أولويتها ويستفاد منها أيضا حدود الطاعة الواجبة أو المحرمة للغير...(٤٦)

وستكون هذه الدروس المستفادة بمجملها على شكل مجموعة مطالب:

المطلب الأول- التعريف بالمربي وتزكيته ضرورة للمتربي:

إن من الدروس الأولى في وصايا لقمان هي ضرورة التعريف بالمربي قبل أن يبدأ بالتربية، وأن يكون مزكى حتى تكون التربية مؤثرة، وحتى يكون المتربون على علم بمرتبة مربيهم ومعلمهم؛ لأن لذلك دوراً نفسياً كبيراً في نفوسهم، لقد شاء الله تعالى أن يمكث رسول الله ﷺ في قريش أربعين عاما قبل البعثة يخالطهم ويجالسهم ويتعامل معهم يتاجر فيهم ويشتري منهم ويتزوج وينجب ويلجئون إليه في أعوص المسائل وأشدها تعقيدا ويلوذون به ويستريحون لرائيه ويثقون بأمانته حتى أنهم ما وجدوا مكانا يحفظون فيه ودائعهم وأماناتهم إلا بيته ولقد ذكرهم بذلك بعد أن جحدوه فقال لهم بلسان القرآن ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦] وهما صفتان اعترف بهما ألد الأعداء وعرفها فيه اشد الخصوم أليس هو الصادق الأمين كما عرفوه؟ وكما سموه؟ فالدعوة بالحال اشد أثرا بالدعوة بالمقال... وهي القدوة الحسنه تتجسد في الصدق في القول والأمانة في الفعل(٤٧).

كذلك ضرورة اختيار الشخص المزكى للتربية، وليس أي شخص، فالمهمة صعبة وخطيرة وكبيرة، وهنا تلقى مسؤولية عظيمة على الآباء وأولياء الأمور ولجان وزارات التربية في اختيار المربين والمعلمين حيث يتحملون مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى وأمام هؤلاء الأطفال والتلاميذ إذا لم يبذلوا جهوداً عظيمة للاختيار والانتقاء، بل لا ينبغي لهم الاختيار إلا بعد البحث والتزكية من قبل الثقات، كما أن هناك أمرا آخر وهو ضرورة تعظيم المربي في نفوس المتربين، والنظرة إليهم نظرة تقدير واحترام من خلال تقديمه من قبل الوالد، أو ولي الأمر، أو مسؤولي وزارة التربية والتعليم، وذلك بأن يقدم المربي إلى المتربين بشكل يستشعر فيه المتربون والمتعلمون بأن مربيهم له مكانة عظيمة وأنه كذا وكذا.

ولهذه النظرة من المتربي أو المتعلم إلى المربي دور كبير في قبول وصاياه وتقبل نصائحه، واحترام أقواله وآرائه، وهي تقتضي أن تعطي للمربين والمدرسين والمعلمين مكانة

لائقة بهم أدبياً ومعنوياً ومادياً، وأن لا ينظر إلى الجانب الاقتصادي في اختيار المربين بحيث لا تكون النظرة قاصرة على التوفير، بل ينظر إلى أن المربي أو المعلم الذي أعطيت له مكانته اللائقة يكون له التأثير على المتربين أكثر من غيره.

المطلب الثاني- التلطف في موعظة الأبناء:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ يدل على ضرورة أن يجلس الأب مع ابنه دائماً أو كثيراً للوعظ والتوجيه والتربية، ذلك أن جملة ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام والاستقرار وهي جملة حالية عن (لقمان) الوالد.

جاء في أساليب تربية الأولاد أسلوب دمج الموعظة بالمداعبة تحريكا للذهن وإذهاباً للملل وتشويقا للنفس(٤٨).

ومن جانب آخر إن الطريق إلى التربية والتوجيه والتقويم يمر عبر الوعظ ووسائله المشوقة ووسائل الترغيب، والحكمة، والثواب والعقاب. والتعبير القرآني يدل على إعطاء أولوية كبيرة للجلوس مع الأولاد ذكوراً وإناثاً للوعظ والنصح والتربية، فهي مهمة ليست سهلة، وهي تستحق كل العناية والاهتمام، لأنها تتعلق ببناء الإنسان، وبناء الجيل القادم، وبناء القيادة للأمة.

وفي قوله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ يدل أنه على المربي أن يختار الألفاظ المحببة والمشوقة لدى المتربي، وأن يشعره بأنه يحبه، وأنه لا ينصحه إلا من باب حبه الكثير، وأنه حتى لو تشدد معه فهو كالطبيب المعالج الذي تقتضي مصلحة مريضه أن يقوم باللازم، حيث استعمل القرآن الكريم في البداية لفظ ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ الذي كما يقول العلماء يدل على نداء المحبة والإشفاق وأن تصغير بني للتحبب ولبيان زيادة الحب والعطف. ومن هنا فعلى المربين والمعلمين حتى ولو كانوا آباء للمتربين أن لا يستعملوا الألفاظ الجارحة، أو حتى الألفاظ العادية، بل يتفننوا في استعمال الكلمات الجميلة الراقية التي تدل على الاحترام والمحبة والإشفاق.

المطلب الثالث- الوضوح وسوق الدليل في الموعظة:

كان ﷺ يخط أمام أصحابه خطوطا ليوضح لهم بعض المفاهيم المهمة، ويقرب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة، فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا، وخط خطا خارجا منه، وخط خطوطا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، وهذا الذي خارج- أي عن الخط- أمله، وهذه الخطوط الصغار والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة، فان أخطئه هذا نهشه هذا، وان أخطئه هذا نهشه هذا، وان أخطأته كلها أصابه الهرم**»(٤٩)... فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه على الأرض كيف يحال بين الإنسان والآمال الواسعة العريضة بالموت المباغت أو الحوادث النازلة، أو الهرم المضني المقعد... وهذا توضيح جميل من المعلم الأول عليه الصلاة والسلام يندرج تحت مفهوم الموعظة بالإيضاح.

ومما يستفاد من حكم لقمان هو استعمال الأشياء المفهومة للأولاد، والألفاظ الواضحة، وبعبارة أخرى أن يكون خطابهم باللغة التي يفهمونها هم وليس بلغة الكبار، وهذا ما فعله سيدنا لقمان في وعظه لابنه حينما تحدث عن الأصوات المرتفعة الكريهة شبهها بأصوات الحمير؛ وذلك لأن أصوات الحمير مفهومة جداً للأطفال وكريهة كذلك ومزعجة، فاستعمل وسيلة التقبيح المفهومة لديهم، وكذلك حينما نصحه بأن لا يشرك بالله تعالى ذكر بأن الشرك لظلم عظيم، والظلم مفهوم بالفطرة ومستقبح لدى الجميع، ثم بين بأن الشرك ليس ظلماً عادياً بل هو ظلم عظيم، وذلك لأن الظلم اعتداء على الحقوق، وتجاوز عن الحدود، وصرف الحق عن أهله، وأن الشرك هو اعتداء على حق الخالق، ومساواة ظالمة بين المخلوق والخالق، وإعطاء حق العبادة للشريك الذي لا يستحقها، واخضاع للنفس الإنسانية المكرمة لعبادة الخسيس، بدل الخضوع لخالقها وباريها.

وأيضا عدم الاكتفاء بسرد الأشياء المجردة عن أدلتها وحكمها وأسبابها، وعن التعليل والبيان حيث لم يكتف لقمان الحكيم بمجرد النهي، بل بين السبب وأوضح العلة وشرح الحكمة فقال: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ثم بين السبب بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ وقال: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ثم علل ذلك بقوله ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.

وهذا منهج تربوي رصين قوي يدل على أنه يعطي القيمة لعقول الأولاد والمتربين والتلاميذ حيث لا يفرض عليهم المعلومات، بل تشرح لهم مع أسبابها وحكمها، فيكون ذلك أدعى للقبول.

المطلب الرابع- البحث الجاد عن وسائل الإقناع ومصدره:

إن لأسلوب الإقناع إيحاءاته المؤثرة على المشاعر، وتأثيره البالغ في القلوب... وهذا الأسلوب من الاقناع الاستكاري أو الاستعطافي ظاهر واضح في مخاطبة القرآن الكريم لقلوب الناس وعقولهم على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وطبقاتهم على ألسنة الأنبياء والدعاة، ومن هذه النماذج موعظة لقمان لابنه باستعماله للنداء الاقناعي مبدوءا بخطاب ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾(٥٠).

إن سيدنا لقمان الحكيم استعمل وسائل الإقناع بشكل واضح حيث لم ينه عن الشرك، لأنه شرك، بل أوضح ما يقنع ابنه بأن الشرك أمر قبيح مكروه غير مقبول؛ لأنه ظلم عظيم، والفطرة السليمة تأبى الظلم والضيم، وكذلك نهاه عن التكبر، ثم استعمل وسيلة الإقناع من خلال أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، بل إن كل إنسان عاقل لا يحب المختالين، وكذلك حينما نهاه عن القصد والتوسط في المشي والصوت، استعمل وسيلة مقنعة واضحة وهي أن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

وقصدي من ذلك أن استعمال وسائل الإقناع ضروري للمربين والمعلمين، وان هذه الوسائل ليست محصورة فيما ذكر، بل هي متنوعة تشمل الوسائل العقلية، والعاطفية والمادية، وكل الوسائل المعاصرة ولكن مع ملاحظة عقول هؤلاء المتربين.

كذلك لقوة المصدر شأن مهم وهنا يستفاد من تدخل من له شأن في التعليم كأن تتدخل الدولة بالتوجيهات السديدة لصالح التعليم والتربية، وهذا ما يفهم من الآيتين (١٤، ١٥) اللتين أصبحتا فاصلتين بين نصائح لقمان وهما قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ

﴿مَّرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ حيث أمر الله تعالى الأولاد بالتزام أوامر ونواهي الوالدين في غير المعصية.

المطلب الخامس- التربية عن طريق السؤال والجواب:

ومن الدروس أيضا التربية عن طريق السؤال والجواب، وانتهاز فرصة حاجة المتربي لذلك، حيث ورد أن ابن لقمان سأل أباه حينما رأى البحر المتلاطم الأمواج فقال: يا أبتاه: لو وقعت حبة في هذا البحر أيعلمها الله تعالى؟ فأجاب لقمان بقوله ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ فأجاب إجابة دقيقة فذكر بدل الحبة مثقال حبة من خردل وهي غاية في المبالغة في الصغر، كما ذكر بما يدل عليه بطريق أولى فقال: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ﴾ أي قادر على أن يأتي بها.

ومن الطبيعي جدا أسئلة الأولاد الكثيرة فلا ينبغي للمربي ان ينزعج منها بل يستفيد منها، ويبني عليها، ومن الجانب النفسي فإن الأطفال يملون من العرض والإلقاء فلابد إذن من إيصال المعلومات عن طريق الأسئلة والأجوبة وغيرها من وسائل التشويق.

المطلب السادس- التربية عن طريق الثواب والعقاب:

ومن الدروس: التربية عن طريق قاعدتي الثواب والعقاب والتخويف، والترغيب والترهيب، حيث تضمنت الوصايا الأجزية على تلك الأفعال، وما يترتب عليها من ثواب وعقاب وجنة ونار، ومن محبة للناس أو بغضهم أو نحو ذلك، حيث وصف الالتزام بالقيم الأخلاقية والعبادات فإنها من مكارم الأخلاق وعزائم أهل العزم.

إن للترغيب والترهيب في الموعظة هيمنة على الحاضرين، وهناك فرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه، ولواعج حزنه وأساه، لما آل إليه حال

المسلمين...! فلاشك أن تأثير الثاني أبلغ، والاستجابة اليه أقوى، والاتعاظ بكلامه أعظم!! قال عمر بن ذر لأبيه: يا أبت: ما لك اذا تكلمت أبكيت الناس، واذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة(٥١).

المطلب السابع- توفير البدائل وشمولية الموعظة:

ضرورة الإتيان بالبدائل عند النهي عن أي شيء، حيث بعدما نهى لقمان عن الخلق الذميم من التكبر ونحوه رسم له الخلق الكريم فقال ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ بعدما قال ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ فعلى المربين أن يوجدوا البدائل المقبولة لكل المنهيات المستهجنة، ومن فضل الله تعالى أن ديننا يقوم على ذلك.

إن الوعظ الذي يقدمه الوالد، أو المربي ينبغي أن يكون شاملا لجميع ما يحتاج إليه المتربي من خلال خطة زمنية ومن خلال فقه الأولويات، ولذلك شملت وصايا لقمان لابنه الجانب العقدي، والجانب الأخلاقي، والجانب العملي، كما أنها راعت فقه الأولويات حيث بدأ الحديث والتركيز على العقيدة الصحيحة، وعلى زرع التقوى والخوف من الله في قلوب المتربين، ثم التركيز على أداء الصلاة وإقامتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، ثم التركيز على الجوانب الأخلاقية القولية والسلوكية، يقول الإمام الرازي في تفسيره: ... أن الإنسان لما كان شريفا تكون مطالبه شريفة فيكون فواتها خطرا فقدر الله الإنسان على تحصيلها بالمشي فإن عجز فبإبلاغ كلامه إليه، والثاني: هو أن الإنسان له ثلاثة أشياء عمل بالجوارح تشاركه فيه الحيوانات...، وقول باللسان ولا يشاركه فيه غيره، وعزم بالقلب وهو لا اطلاع عليه إلا الله، وقد أشار إليه بقوله ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ أي أصلح ضميرك فإن الله خبير، بقي الأمران فقال ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ إشارة إلى التوسط في الأفعال والأقوال، الثالث: هو أن لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه، والأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه، فقوله ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ إشارة إلى المكارم المختصة بالإنسان دون الملك، فإن الملك لا يأمر مالكا آخر بشيء ولا ينهاه، وقوله ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ إشارة إلى المكارم التي هي صفة الملائكة من عدم التكبر، وقوله ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ إشارة إلى المكارم التي هي صفة الحيوان، ولكن الإنسان يهذب هذه الصفات.

إن الشمولية من أسس التربية، فلا تطغى سياسة على عبادة وأخلاق، ولا يسبب تعليم الأحكام الشرعية غلق أبواب التوعية السياسية، ولا ندع رحمة تصاحب الإغاثة الخيرية تغلب مشاعر الجهاد والغلظة على كافر، بل الشمول ديدن وهدف وأسلوب، لكن خير أجزاء الحق بالنسبة لكل داعية ما جارى رغبته وهواه الخاص وانفعل به وهام به غراما فللاجتهاد الشرعي رجال نحسبهم مع مدونات الفقه، وللبحث السياسي وعاة نرصدهم لاستنطاق الأرشيفات وللإعلام سباقون نبعثهم إلى الساحات الساخنة، وللتجارة نفوس عفيفة غنية نتيح لها حضور المعارض الدولية والأسواق، ثم للصناعة مهندس مبدع وممول هادئ الروح لا تستفزه المباغتات، وكل في فلكه يسبح ويسبِح وتزداد خبرته(٥٢).

المطلب الثامن- البدء بتعليم العقيدة الصحيحة أولا:

بدأ لقمان الحكيم وصيته لابنه بقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ والسبب في البدء بهذا يعود إلى أن أول واجب على الوالد، وولي الأمر هو غرس العقيدة الصحيحة، فهي الأساس لبناء إيمان الشخص وتصوراته وأفكاره، ثم إن لقمان الحكيم بدأ بالنهي عن الشرك ولم يبدأ معه بالأمر بالإيمان بالله تعالى وذلك لأن الإيمان بالله تعالى متحقق لدى الأطفال بحكم الفطرة، ولكن المشكلة هي تحقيق توحيد الإلوهية وهذا هو الذي ضل فيه كثير من الناس، وأما توحيد الربوبية واثبات الخلق لله تعالى فهو محل اتفاق أكثر العالمين على مرّ التاريخ، وإنما ضل الناس بسبب الشرك لله تعالى سواء كان من الشرك الأكبر أم الأصغر قال تعالى ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾ [يوسف] ولذلك ركز عليه لقمان.

ومن مقتضيات العقيدة الصحيحة هو التأكيد على غرس المحبة والشوق، والترغيب والترهيب، والخوف من الله تعالى في قلوب المتربين واستشعار رقابته على الإنسان وعلمه بكل الخفايا مهما خفيت فلا تخفى على الله تعالى فقال ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ ﴾ أي الخطايا والذنوب،

بل خصال الشر والخير والأعمال كلها ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ وهذا مثال مادي مفهوم ضرب به حتى يثبت في قلب ابنه إن الذنوب مهما صغرت ومهما حاول صاحبها إخفاءها بكل الوسائل الممكنة فإنها لا تخفى على الله تعالى، وحينئذ كن يا بني على علم بأن الله يعلم كل تصرفاتك ويرى كل حركاتك وسكناتك ويأتي بكل ذنوبك لتشهد عليك في يوم لا ينفع مال ولا بنون، وكذلك يأتي بكل أعمالك الصالحة فتشفع لك فتكون من الفائزين في ذلك اليوم العظيم، وقد روي أن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة تقع في مثل البحر، أيعلمها الله؟ فأجابه لقمان بهذا الكلام السابق.

إن من أمور العقيدة توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتعليمهم أن الله مطلع على أعمالهم لا يخفى عليه شيء، وأنه تعالى يحاسبهم عليها وان كان عملهم بالغ الصغر كحبة الخردل، كذلك يجب على الآباء أن يربوا أولادهم على الشعور بمسؤولية المسلم عن صلاح وإصلاح المجتمع الذي يعيشون فيه، ويتم هذا بتعليمهم ما أوجبه الله على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل حسب قدرته واستطاعته...(٥٣)

المطلب التاسع- تعويدهم على الدعوة وهم صغار:

ومما يستفاد أيضا هو تعويد الأولاد في سن مبكرة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يترتب عليه عدة نتائج في غاية من الأهمية منها:

١- الانطلاق من التعلم إلى التعليم للغير.

٢- القدرة على المواجهة حيث يدرب المتربي وهو صغير على ان لا يكون سلبيا بل يكون ايجابيا يجهر بدعوته ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٣- البدء بإكمال الآخرين بعد البدء بإكمال ما عليه من الواجبات، فهذه وظيفة الأنبياء والمصلحين.

٤- بناء الشخصية القوية القادرة على البيان والإفصاح عما تريد، فمن الطبيعي ان يكون الشخص الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان تكون له القدرة الأدبية، والفصاحة والبيان، أو يعود نفسه على ذلك، كما ان ممارسة ذلك تؤدي إلى تحقيق هذا الهدف المنشود، والقدرة على مواجهة الاحداث والرجال.

المطلب العاشر- غرس القيم والمثل العليا:

ومنها أيضا: العناية القصوى بغرس القيم والأخلاق وبالأخص قيم السلوك وفن التعامل مع الناس من التواضع وعدم التكبر، والتوسط في الأصوات والمشي، فقال ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ حيث تتضمن عدة نصائح:

١- ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾، والصعر: الميل، والمعنى: ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم وإعجابا، واحتقارا لهم، قال الشاعر:

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم

والصعر في الأصل داء يصيب الإبل في رؤوسها حتى يلف اعناقها ويلوي رؤوسها فيسقط بعد ذلك.

وعلى ضوء ذلك خصص لقمان وصيتين من وصاياه للنهي عن الكبر، وفي ذلك دلالة عظيمة على خطورة الكبر من حيث الجانب الديني الذي وردت فيه آيات وأحاديث كثيرة تدل على عظم ذنوب المتكبرين وسوء عاقبتهم وحرمانهم من الجنة، وكذلك للكبر دور سلبي خطير في التعلم، فالمتكبر لا يتعلم، حيث يمنعه كبره عن العلم إضافة إلى ان الله تعالى لا يهدي نور العلم للمتكبرين المتجبرين، وإذا أعطاهم فإنه استدراج، وعلم غير مبارك.

الخاتمة

بعد هذا العرض السريع لما جاء في وصايا لقمان لابنه وما تضمنته من معان ومواضيع ودروس، ينبغي على الباحث في التفسير أن ينظر للنص القرآني من عدة زوايا موضوعية ويتعمق في فهم دلالات النص وما يرد فيه من كلمات ليتابع زوايا موضوعية عدة، ويربط فيما بينها ليخرج بنتائج موضوعية هادفة، كما أن كثرة النظر في المصادر المتنوعة قديمها وحديثها واختيار أحسن ما فيها بما يتناسب وموضوع البحث مطلوب في هذا الوقت خدمة لمتطلبات البحث الموضوعي، وسيخلص إلى فوائد وعبر تصب في خدمة المجتمع ولاسيما تربية أبنائه.

إن موعظة لقمان لابنه في سورة لقمان لهي موعظة غنية بالقيم والمثل السامية، وقد ثبتها القرآن الكريم لتتلى على مر الأزمنة، وما يستنبط منها من مواضيع ودروس لن

ينقضي أبدا ما دامت السماوات والأرض، فالقرآن متجدد بمعانيه على مر الأزمان، وستتعاقب الأجيال وهي تنهل منه كل في جيله ما يدفع بالحياة إلى الأمام وما يسعد به الإنسان.

لقد خلصت في هذا البحث إلى مجموعة أمور يمكن إجمالها بما يأتي:

١-موعظة لقمان لابنه تنفع كمنهاج يدرس في مدارسنا وبيوتنا.

٢-القرآن الكريم ينوع في أساليب التأثير وهو من أساليب التربية.

٣-كلما دققنا أكثر في النص القرآني وجمعنا زوايا النظر فيه كلما خرجنا بمعان جديدة.

٤-الحديث النبوي شارح للقرآن ومبين لمجمله في مواضع عدة.

وفي خاتمة هذا البحث أسأل الله تعالى القبول والعفو عن الخطأ والزلل... اللهم تقبل منا انك أنت العفو الغفور... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(١) ينظر: لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث- القاهرة، طبعة ٢٠٠٣م، ١٥و١٦/ ٢٢٧، وأيضا ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، المجلد ١١، ص٧١١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ، دار الأندلس- بيروت، ٥/ ٣٨٠، معارج التفكر، مجلد ١١، ص٧٠٨.

(٣) التبيان في علوم القران، محمد علي الصابوني، مكتبة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، ص٨.

(٤) ينظر: أسباب النزول، الشيخ الإمام الواحدي النيسابوري ت٤٦٨هـ، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية- مصر، ٢٠٠٣م، ص٢٦٨.

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ٢/ ٧٨٢.

(٦) لسان العرب، ٣ و٤/ ١٨٧.

(٧) ينظر: لسان العرب، ١١ و١٢/ ١٨٨.

(٨) ينظر: لسان العرب، ٣ و٤/ ٣٠.

(٩) ينظر: لسان العرب، ٥ و٦/ ٤٢، وينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد ١١، ص٧١٩.

(١٠) ينظر: لسان العرب، ٧ و٨/ ٢٤٠.

(١١) ينظر: تنوير الأذهان بمواضيع القران مع التفسير والبيان، عبود احمد الخزرجي، دار الأرقم- بيروت ١٩٩١م، ص٤٤٣.

(١٢) في ظلال القران، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة ١٩٨٢م، ٥/ ٢٧٨٨.

(١٣) الإسلام: سعيد حوى، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١-٤، الطبعة الثانية ١٩٧٩م، ص٣٠٢.

(١٤) ينظر: صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ، عالم الكتب- بيروت، ٦/ ٢٠٧.

(١٥) ينظر: الإيمان، شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٦م، ص٧٦.

(١٦) ينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، ٢١/ ٥٢.

(١٧) تفسير النسفي، الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، دار إحياء الكتب العربية، المجلد الثاني، ٣/ ٢٨١.

(١٨) الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام- مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٣م، المجلد الثامن، ص٤٣١٩.

(١٩) ينظر: في ظلال القران، ٥/ ٢٧٨٨.

(٢٠) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل- بيروت، د.ت، ٨/ ٣-٥، مختصر صحيح مسلم، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت٦٥٦هـ، خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص٣٧٥.

(٢١) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت٥٤٦هـ، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، المجلد الحادي عشر، ص٤٩٨.

(٢٢) ينظر: روح المعاني، ٢١/ ٦١.

(٢٣) في ظلال القران، ٥/ ٢٧٨٩.

(٢٤) معارج التفكر، المجلد ١١، ص٧١٨.

(٢٥) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ١٧/ ٣٣٠، تفسير ابن كثير، ٥/ ٣٨٥.

(٢٦) ينظر: تنوير الأذهان بمواضيع القران، ص٢١١.

(٢٧) ينظر: صحيح البخاري، ١/ ٢٢٢.

(٢٨) ينظر: موسوعة الآداب الإسلامية المرتبة على الحروف الهجائية، عبد العزيز بن فتحي السيد ندا، دار طيبة للنشر والتوزيع- السعودية، الطبعة الثانية ٢٠٠٤، ص٤٩٤.

(٢٩) ينظر: فقه السنة، السيد سابق، دار الكتاب العربي- بيروت، المجلد الأول، ص٩٢، وينظر: مسند أحمد، ١١/ ١٤١.

(٣٠) صحيح مسلم، ١/ ٥٠، وينظر: مختصر صحيح مسلم، ص٢٧.

(٣١) ينظر: معارج التفكر، المجلد ١١، ص٧٢٢.

(٣٢) ينظر: روح المعاني، ٢١/ ٦٢.

(٣٣) ينظر: موسوعة الآداب الإسلامية، ص٧٨٥.

(٣٤) صحيح البخاري، ١/ ٤٣٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ٥/ ٢٣٦١.

(٣٦) صحيح مسلم، ٣/ ٣٧.

(٣٧) في ظلال القران، ٥/ ٢٧٩٠.

(٣٨) ينظر: الأساس في التفسير: ٨/ ٤٣٢٥.

(٣٩) ينظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، دار البحوث العلمية- الكويت، الطبعة الرابعة ١٩٨٥، ص٧٣.

(٤٠) ينظر: معارج التفكر، المجلد ١١، ص٧٢٦.

(٤١) ينظر: في ظلال القران، ٥/ ٢٧٩٠.

(٤٢) ينظر: موسوعة الآداب الإسلامية، ص٧٧٩.

(٤٣) ينظر: في ظلال القران، ٥/ ٢٧٩٠.

(٤٤) ينظر: معالج التفكر، المجلد١١، ص٧٢٧.

(٤٥) ينظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص٤٢٣.

(٤٦) ينظر: صحيفة الشرق الأوسط، مقال للدكتور علي محي الدين القرة داغي، عنوانه: دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم، العدد ٩٠٤١ بتاريخ ٣٠ آب ٢٠٠٣، الصفحة الثانية. وينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ١/ ٥١٠.

(٤٧) ينظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة- الإسكندرية، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م، ص٤٩.

(٤٨) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام، د.عبد الله ناصح علوان، دار السلام- مصر، الطبعة الثانية والأربعون ٢٠٠٨م، ٢/ ٥٢٦.

(٤٩) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، رقم الحديث ٦٤١٧، وينظر: تربية الاولاد، ٢/ ٥٢٩.

(٥٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٠٨.

(٥١) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٢٧.

(٥٢) ينظر: منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، مطبعة أنوار دجلة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٤٤.

(٥٣) ينظر: المستفاد من قصص القرآن، ١/ ٥١١.

المصادر

القران الكريم
١- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام- مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٣ م.
٢- أسباب النزول، الشيخ الإمام الواحدي النيسابوري ت٤٦٨هـ، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية- مصر، ٢٠٠٣.
٣- الإسلام: سعيد حوى، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١-٤، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٤- الإيمان، شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٦م.
٥- التبيان في علوم القران، محمد علي الصابوني، مكتبة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
٦- تفسير ابن كثير،الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ، دار الأندلس- بيروت.
٧- تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت٥٤٦هـ، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
٨- تفسير النسفي، الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، دار إحياء الكتب العربية.
٩- تربية الأولاد في الإسلام، د.عبد الله ناصح علوان، دار السلام- مصر، الطبعة الثانية والأربعون ٢٠٠٨م.
١٠- تنوير الأذهان بمواضيع القران مع التفسير والبيان، عبود احمد الخزرجي، دار الأرقم- بيروت، ١٩٩١م.
١١- الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة- الإسكندرية، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.
١٢- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
١٣- السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، دار البحوث العلمية- الكويت، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.

١٤- صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ، عالم الكتب- بيروت.
١٥- صحيفة الشرق الأوسط، مقال للدكتور علي محي الدين القرة داغي، عنوانه: دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم، العدد ٩٠٤١ بتاريخ ٣٠ آب ٢٠٠٣، الصفحة الثانية.
١٦- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
١٧- فقه السنة، السيد سابق، دار الكتاب العربي- بيروت.
١٨- في ظلال القران، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة ١٩٨٢م.
١٩- لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث- القاهرة، طبعة ٢٠٠٣م، تسعة مجلدات.
٢٠- مختصر صحيح مسلم، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت٦٥٦هـ؟؟؟، خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
٢١- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.
٢٢- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
٢٣- منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، مطبعة أنوار دجلة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٢٤- موسوعة الآداب الإسلامية المرتبة على الحروف الهجائية، عبد العزيز بن فتحي السيد ندا، دار طيبة للنشر والتوزيع- السعودية، الطبعة الثانية ٢٠٠٤.